التشكيل اللوني في شعر البحتري

أروية علي عبد الحميد محمد (*)

الحمد لله رب العالمين، الذي أنزل الكتاب بلسان عربي مبين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، النبي العربي - محمد الرسول الكريم - وعلى آله وصحبه أجمعين.

رُزق البحتري بشهرة واسعة في الأدب العربي، ونال اهتمام الباحثين عبر العصور الماضية، والأوقات الراهنة، فأخضعوا شعره للنقد والتحليل والموازنة، واجتهدوا في التعرف على خصائصه، ومميزاته.

وموضوع هذا البحث هو: " التشكيل اللوني في شعر البحتري"، تقوم فيه الباحثة برصد جماليات اللون في شعر البحتري، الذي أبدع شعرًا وظف فيه اللون توظيفًا فنيًا رائعًا، دل على حسه المرهف وموهبته الفنية، فقد خلق هذا الرجل "ليكون شاعرًا، ولو تأخر به الزمن هذه القرون الأحد عشر التي مضت منذ ولد عام ٢٠٤ه، ومات عام ٢٨٤ه، لكان له في لونين من الفنون الحديثة مكان أي مكان، وأعني بهذين اللونين: الموسيقي والتصوير".(١)

فاللون وسيلة من وسائل التعبير عند الشاعر، تنضم إلى الوسائل الأخرى في التعبير عن الحالة النفسية، والقيمة الشعورية لهذا الشاعر المبدع أثناء عملية الإبداع الشعري.

أسباب اختيار الموضوع:

محاولة الوقوف على الدلالات المختلفة، التي حملها اللون في شعر البحتري، وهل اتفقت مع الدلالات التي حملها اللون في التراث العربي أم لا؟.

الدراسات السابقة:

- " التوظيف الفني للون في الصورة الشعرية عند أبي العلاء المعري" . للباحثة : آمنة محمد فتح الله، رسالة دكتوراه ،غير منشورة بكلية الآداب، جامعة سوهاج، عام ٢٠٠٨م. تناولت خلالها الباحثة دراسة الصورة الشعرية التي دخل اللون فيها، وحددت - من خلالها - رمزية

(*) هذا البحث من رسالة الماجستير الخاصة بالباحثة، وهي بعنوان: [اللون في شعر البحتري دراسة فنية] تحت إشراف أ.د. بهاء محمد محمد عثمان – كلية الآداب – جامعة سوهاج & أ.د. إسماعيل محمود محمد – كلية الآداب - جامعة سوهاج & أ.د. نجوان كمال السيد – كلية الآداب – جامعة سوهاج & د. آمنة محمد فتح الله – كلية الآداب – جامعة سوهاج.

(١) البحتري: ديوان البحتري، تحقيق حسن كامل الصيرفي، دار المعارف المجلد الأول، دار المعارف، الطبعة الثالثة، ١٩٧٧،ص١٤.

الألوان في شعر أبي العلاء المعري، والألوان الغالبة على حديثه الشعري، كما قدمت ما يعرف بالقراءة اللونية لإحدى قصائده الشعرية.

الصعوبات التي واجهت الباحثة:

١- كِبَر حجم الديوان الذي وصل إلى خمسة مجلدات، مع تعدد صور الظاهرة اللونية، وتشعبها؛ مما يتطلب جهدًا، وطول تأمل، وإمعان النظر في البحث والتمحيص.

٢- دراسة النص من أكثر من زاوية جمالية ونفسية، مما أدي إلى جهدٍ كبيرٍ للغوص في الشواهد، والتفتيش في أعماقها، وتحليها تحليلًا شافيًا.

منهج الدراسة:

ومن أجل تحقيق أهداف الدراسة سلكت الباحثة منهجًا ؛ التزمت به، وهو " المنهج الوصفي التحليلي" ذو الطبيعة التكاملية في العرض والتحليل للألفاظ اللونية في شعر البحتري، والتعمق في دلالاته الموضوعية، وأبعاده الفنية، ورصد الدلالات البلاغية في الصورة اللونية داخل النص.

خطة الدراسة:

مهدت لدراسة التشكيل اللوني في شعر البحتري بتعريف مختصر للون لغة واصطلاحا، والبحث يتحدث عن جماليات اللون في الأغراض الشعرية عند البحتري وهي: اللون والمدح ،اللون والغزل، اللون والوصف، اللون الفخر.

ولخصت نتائج بحثي في الخاتمة . ثم أتيت بقائمة المصادر والمراجع التي اعتمد عليها في البحث.

وأرجو من الله العلي القدير أن أكون قد وفقت في بحثي وأن يخرج بالصورة التي ترضى عني أساتذتي الأجلاء.

فسبحان الله نعم المولى ونعم النصير.

تعريف اللون لغة واصطلاحًا:

أ- تعريف اللون لغةً:

تدور المادة - في اللغة - حول: " الهيئة، والسحْنَة، والصفة، والنوع ".

وقد عرَّفه ابن منظور بأنه: " هيئةُ كالسّواد والحُمْرة، ولَوَنْتُه فَتَلَوَن. ولَوْنُ كل شيء: ما فُصِلَ بينه وبين غيره، والجمع أَلْوَان، وقد تَلَوَّنَ ولَوَّنَ ولَوَّنَه. والأَلْوان: الضُّروبُ واللَّوْنُ النوع . وفلان مُتَلَوِّنٌ إذا كان لا يَثْبتُ على خُلُقٍ واحد"[١].

(١)ابن منظور: لسان العرب، طبعة دار الحديث، القاهرة، ٢٠٠٣م.، مادة (لون).

وعرَّفه ابن فارس بأنه " سَحْنَة الشَّيء: من ذلك اللَّون ؛ لون الشيء، كالحمرة والسواد . واللوَّن : جنس من التَمرْ"(١).

وعُرِّف اللون - في الاصطلاح - على أنه: " كيفية يتوقف إبصارها على إبصار شيء آخر، هو الصورة" (٢). وقد اعتمد واضع المصطلح - في تعريفه للون - على التعريف اللغوي له؛ حيث عَوَّل على صورة الجسم في تعريف اللون.

وعُرِّف - أيضًا - بأنه: " التأثير الفسيولوجي، أي: الخاص بوظائف أعضاء الجسم، الناتج على شبكة العين، سواء كان ناتجًا عن المادة الصباغية الملونة أو عن الضوء الملون، فهو - إذًا - إحساس، ليس له أي وجود خارج الجهاز العصبي للكائنات الحية" (٣). فاللون - وفق هذا التعريف - ليس شيئًا ماديًا ملموسًا، وإنما إحساس وشعور يدخل في نطاق المعنويات.

وقيل إنه: " النور في أصباغه المختلفة" (٤).

اللون والغرض الشعري :

عندما نتناول شعر البحتري نرى بوضوح توظيف الشاعر للون في أغراضه الشعرية، فجاء اللون بكل صوره موظفًا توظيفًا فنيًا له مهمته ودلالاته التي نجح الشاعر في تحقيقها وإيصالها للمتلقي بشكل يلامس وجدانه ومشاعره.

أولًا: اللَّون والمـــــديح

كان العصر العباسي عصر رقي وازدهار وتقدَّم، في شتى نواحي الحياة العباسية؛ الأمر الذي ألقى بظلاله على إبداع الكثير من الشعراء، وبخاصة الذين تعرضوا لمدح القادة والملوك والسلاطين؛ رغبة منهم في نيل عطاياهم، والتقرُّب من مجالسهم؛ " لذلك أفْتُتن الشعراء في الصفات التي يضفونها على ممدوحيهم، وجهدوا في استنباط المعاني الطريفة في السماحة، والكرم، والحزم، والشجاعة، وعلو الهمة"(٥).

والبحتري واحد من هؤلاء الشعراء، الذين شغل المديح مساحات واسعة من شعرهم، مثل فيه اللَّون لبنة أساسية، في بناء الكثير من المعاني والصفات

(١) ابن زكريا أبو الحسين أحمد بن فارس: معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبدالسلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، الرياض، ١٩٧٩، الجزء الخامس .مادة لَوَنَ.

(٢) التهانوي : محمد على: كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، ،تقديم : رقيق الحجم، تحقيق : على دحروج، مكتبة لسان، ط ١، ١٤١٧، ١٩٩٦م، ص٢. .

(٣) يحيى حمودة : نظرية اللون، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨١.

(٤) عباس محمود العقاد: مراجعات في الآداب والفنون، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، الطبعة الأولي، ٢٠١٣،ص٢٦.

(٥) محمد عبد العزيز موافي: حركة التجديد في الشعر العباسي، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة ٢٠٠٧م، ص١٦.

الخاصة بالممدوح؛ فكثير من صفات الممدوح الخُلقية والخِلقية بُنيت على أساس لوني بيِّن، كصفاء السريرة ونقائها، ووضاءة وجه الممدوح وإشراقه، وتشبيهه بالبدر أو الشمس، أو غير ذلك، من دلالات لونيَّة أخرى مباشرة وغير مباشرة ؛ " فلقد استخدمت الألوان وسيلة لإبراز المعنى، وإضاءة جوانبه في شعر المديح"[1].

١) اللَّون الأبيض :

للَّون الأبيض في شعر البحتري أصداء واسعة وتجليات عديدة، وهو من أكثر الألوان ورودًا في شعره، وهذا إن دلَّ فإنما يدلَّ على محبة الشاعر لهذا اللَّون ورؤيته الخاصة؛ لقدرة هذا اللَّون على التعبير عن المعاني السامية، والمُثل العليا في شخصية الممدوح؛ وهي محبة نابعة من موروث ديني وثقافي، قدَّم كلَّ ما هو مثالي وجمالي باللَّون الأبيض؛ فوجوه المؤمنين الآمنة المطمئنة - برضا ربها - بيضاء مُسفرة، في الدنيا والآخرة، وفي الموروث الشعري " استخدم البياض في مقام المدح، وصفًا بالكرم، ونقاء العرض "[2].

وجاء ارتباط اللَّون الأبيض في شعر المديح عند البحتري بدلَّالات متعددة، قدَّمت الممدوح للسامع والمتلقي نموذجًا للفارس والقائد. فقد توسَّل الشاعر باللَّون الأبيض للتعبير عن كرم الممدوح وفوائض عطاياه، فقال البحتري:

كَمْ مِنْ يَدٍ بَيْضَاءَ منهُ ثَنَى بها وَجْهاً تَلَأْلَأَ للبَشَاشَةِ أَبْيَضَا. [3]

فالممدوح صاحب أيادٍ بيضاء معطاءة، يجمع - إلى عطائه المادي - عطاءً معنويًا، مثَّلته أريحيته للعطاء، وجسَّده تهلُّل وجهه، وتلألؤه بالبياض.

أفادت كم-في صدر البيت-التعددية والكثرة، وكأنه أراد أن يقول: إن نِعَم الممدوح لا تُحصى.

استعمل الشاعر - في نهاية البيت - صيغة "أفعل"؛ للدلَّالة على عمق الأثر الحاصل من الأريحية للعطاء في وجه الممدوح.

استطاع - من خلال البنية الاستعارية، في قوله:" وجهًا للبشاشة أبيضا". أن يُصوِّر - للمتلقي - أريحية نفس ممدوحه الكريم للعطاء واستراحتها بكرمها.

ويُقدِّم الشاعر عطايا الممدوح ملونة باللَّون الأبيض؛ لأنها عطايا صافية خالصة، لم يَشبُّها منٌّ، ولا أذى، فيقول:

---

(١) إبراهيم الحاوي: التشكيل اللَّوني في شعر أبي تمام، مجلة كلية التربية، جامعة أسيوط، العدد،١٢مجلد الثاني، أبريل، ١٩٩٦م، ص.٣٣٠.

(٢)أحمد مختار عمر: اللغة واللون، عالم الكتب، القاهرة، ط٣، ٢٠٠٩، ص٤١.

(٣) البحتري : ديوانه، تحقيق، حسن كامل الصيرفي، مصدر سبق ذكره، ج ٢، ص ١٢٠٠، بيت ١٥.

يُمْضِـــي المنَايَـــا دِرَاكًـــا ثـــم يُتبِعُهـــا بِـــيضَ العَطَايـا، ولـم يُوعِـد ولـم يَعِـدِ.(١)

فأخلاق الممدوح الكريمة العالية، وأفعاله الحميدة في موقف العطاء قد وَسمت عطاياه بالبياض؛ لأنها جاءت خالصة، من غير مَنٍّ ولا تكدير، ومن غير موعد ولا ميعاد.

الأفعال المثبتة والمنفية في قوله: "يمضي، ويتبعها، ولم يعد، ولم يوعد "، تَجدُّد حدث القتال والكرم واستمراريته.

جسَّدت الصورة الكنائية في قوله: "بيض العطايا ". نقاء عطايا الممدوح من المعايرة بالعطية وشفافية كرمه؛ في صورة حسية، من خلال اللفظة اللَّونيَّة "بيض"، وذلك مصداقًا لقول الله - تعالى: "الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى ۙ لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ".(٢)

أفادت حروف العطف "ثم" و"الواو"، تعاقب الأحداث وتتابعها.

جسَّدت القيم الصوتية للأصوات الانفجارية " الدال، والراء، والكاف " ؛ مع الحركة الطويلة في لفظة دراكًا" معاني العنف والقوة، التي صاحبت تتابع حلقات الموت وتلاحقها، واستثمر الشاعر التماثل الصوتي بين كلمتي " المنايا " و" العطايا " ؛ ليُحدث جناسًا صوتيًّا، نتج عنه نغمٌ موسيقيٌ.

عبَّر تكرار فعلي " يوعد " و" يعد " - بعد أداة النفي لم المكررة - عن إرادة الممدوح ورغبته الكاملة في العطاء. إذ إن الوعد يُلزم صاحبه بتحقيقه، وإن لم يكن يرغب في ذلك.

وظَّف الشاعر المفردة اللَّونيَّة " أبيض"؛ للتعبير عن قوة الممدوح وشجاعته، في مواجهة الخطوب والأزمات، يقول الشاعر:

هُتِكَـــتْ غَيابَتُهـــا بِـــأَبيَضَ ماجِـــدٍ فَكَأَنَّمـــا هُتِكَـــتْ بِـــأَبيَضَ قاضِـــبِ(٣)

يشبِّه الشاعر قوة ممدوحه، التي فرَّجت الكربات بقوة السَّيف، وقد زادت - من قوته - دلالة اللَّون الأبيض في السـيوف، الدَّالة على حدة السيف، وحُسن صقله.

استعان الشاعر - في البيت - بالصفة " أبيض"؛ ليدلَّ على الموصوف الممدوح، فلم يذكر اسمه صراحة، وإنما عمد إلى صفته، التي تتسم بالبياض.

---

(١) المصدر السابق : ج١، ص٥٧٤، بيت ١٠.
الإدراك : اللُّحوق، وطعنه طعنًا دراكًا، متتابعًا متتابعًا. انظر: حاشية الديوان، الصفحة نفسها.
(٢) سورة البقرة: الآية:٢٦٢.
(٣) البحتري : ديوانه، تحقيق، حسن كامل الصيرفي، مصدر سبق ذكره،ج١: ص١٦١، بيت٣٢.

" فكأن البياض – هنا- ليس لونًا آنيًا لحظيًا، وإنما هو لون دائم، تتشربه طبيعة الممدوح؛ أكثر ممَّا تعكسه صورته" (١).

- وُفِّق الشاعر - في اختياره للفعل الماضي " هتكت "؛ وذلك لأن الهتك يكون خرقًا للستر؛ ممَّا أوحى باشتداد الكربات، وتفاقم أمرها في البلاد .
- وظَّف الشاعر الدلالة الصوتية، لصوتي " التاء " و" الكاف "، في الفعل الماضي : هُتِكَت " ؛ للإيحاء بقوة تصدع الكربات، وانهيارها.
- الدلالة اللَّونيَّة المستقاة من التشبيه، في قوله: " فَكَأَنَّما هُتِكَت بِأَبيَضَ قاضِبِ " .عمَّقت - لدى المتلقي - الإحساس بشدة الممدوح، وبسالته في القتال من ناحية، وانتصار الممدوح من ناحية أخرى.
- أحدث الشاعر توازنًا صوتيًّا، بين طرفي البيت، ممَّا أصدر نغمًا موسيقيًا هادئًا، ساعد المتلقي على تدبر المعنى والوقوف عليه.

٣) اللون الأسود

أمسى اللَّون الأسود - في سياق المديح - دالًا رمزيًا على الكثير من المعاني الإيجابية، ومنها الشجاعة، وشدة البطش، والتنكيل بالأعداء؛ فيقول:

ومَسْبَعةٌ مِنْ دُونِ ذَاكَ أُسُودُهُ حَصَاهَا، وَمَحْواةٌ نَقَاهَا أَسَاوِدُهُ.(٢)

يقول الشاعر: إن جيوش الممدوح كثيرة ممتدة امتداد الأرض، حصاها أبطال شجعان كالأسود، ونقاها ورمالها حيَّات عظيمة، فالأساود : جمع الأسود، وهو "العظيم من الحيات "(٣). وفي هذا مبالغة واضحة، تشير إلى المبالغات(٤) عند الشعراء - آنذاك - في مدح الخلفاء.

في البيت كنايتان متتاليتان، تؤكِّدان شجاعة فرسان الممدوح، وكنَّى بهما عن كثرة الأبطال في صفوف جيوش الممدوح، فجميع فرسانه وقواده أبطال شجعان. وقد حاكى الجناس بين لفظتي" أُسُودُهُ"، و" أَسَاوِدُهُ" تقارب مستويات القوة بين الفرسان.

(١) موسي ربا يعه : اللَّون في شعر زهير بن أبي سلمي، مجلة جرش للبحوث والدراسات، العدد الثاني، حزيران المجلد الثاني، ١٩٩٨م، ص ١٥.
(٢) البحتري : ديوانه، تحقيق، حسن كامل الصيرفي، مصدر سبق ذكره، ج١، ص٥٨٥، بيت٢٠.
(٣) ابن منظور: لسان العرب، مرجع سبق ذكره، مادة سود.
(٢) المبالغة: أن يدعي لوصف بلوغه في الشدة أو الضعف حدًا مستحيلًا أو مستبعدًا. انظر: الخطيب القزويني : الإيضاح في علوم البلاغة، تحقيق : عبدالقادر الفاضلي، المكتبة العصرية، بيروت، ٢٠٠٧م، ص ٣٥٩.

ويشترك اللَّون الأسود مع اللَّون الأبيض - في سياق المديح - في الدِّلالة على الخير، والكرم، والعطاء، والسخاء؛ لكونه مصدرًا من مصادر العطاء ؛ رامزً إليه من خلال صورة الغمام، قال البحتري :

غَمـــامُ حَيـــا مـــا تـــسْتريحُ بُرُوقُـــهُ وعـــارضُ مَـــوْتٍ لا تَفْيِـــلُ رواعِـــدُهْ.(١)

فيستعير الشاعر للممدوح لفظ "الغمام " ؛ لكونه مصدرًا من مصادر العطاء المائي، وقد تآزرت عناصر اللَّون، والضوء، والصوت، والحركة معًا، في إخراج الصورة الشعرية. فشبَّه الشاعر ممدوحه بالغمام الأسود غزير الماء ؛ فبرز اللَّون الأسود في هذه الصورة، وكنَّى عن وعوده بالعطاء بلفظ البروق، فبرز - هنا - اللَّون الأبيض، وشبَّه أصوات تقارع السيوف بصوت الرعد، فبرز - هنا - عنصر الصوت، وتمثل عنصر الحركة في حركة البروق.

جمع - في الشطر الثاني - بين المتناقضات، ووفَّق بين المتضادات ؛ فالسحاب - الذي يحمل أسباب الحياة للأرض – قد حمل الموت والهلاك، ولكنه موت الأعداء، الذي يُنذر بحياة كريمة للأمة الإسلامية. وقد دعم موسيقى البيت ببنية التوازن، التي عمَّقت المعنى، وأرسته في نفس المتلقي.

٣) اللَّون الأحمر :

وقد ارتبط اللَّون الأحمر - في سياق المديح عند البحتري - بوصف المعارك، وانتصار الممدوح فيها، وإعماله القتل والتنكيل في صفوف أعدائه، فحين أراد الشاعر وصف موقع القتال، وهو غارق في الدماء ؛ من كثرة ما أريق فيه من دم الأعداء، كان اللَّون وسيلة أساسية في صناعة ذلك الوصف وتقريبه، قال:

بَهَـا لِيـلُ يَـوْمِ الجُـودِ تـَجْرِي شِـعَابُهُ وآسـادُ يَـوْمِ الحَـرْبِ يحْمَـرُّ مَـا قِطـُهْ.(٢)

فقد أشار الشاعر إلى ممدوحيه ؛ بأنهم أسياد كرماء، في موقف العطاء، وهم ليوث حروب، تحمر ساحة النقع من أثر الدماء ؛ دلالة على كثرة فتكهم بأعدائهم.

ومن الدِّلالات الإيجابية الأخرى، التي يحملها اللَّون الأحمر في سياق المديح دلالة النصر والتفوق على الأعداء، حيث يقول الشاعر:

لـَجَرَّدَ نَصْـلَ السَّيْفِ حتى تـَفَّـرقتْ عن السَّيفِ مَخْضُوباً جُمُوعُ أَبى حَربِ.(١)

(١) البحتري : ديوانه، تحقيق :حسن كامل الصيرفي، مصدر سبق ذكره، ج١، ص ٥٨٥، بيت٢٥.

(٢) البحتري: ديوانه، تحقيق : حسن كامل الصيرفي، مصدر سبق ذكره، ج٢، ص١٢٣٢، بيت ٢٣.
ومن دلَّالات الأحمر علي شدة القتال : انظر: ج٤ص ٢٢٧٣، بيت ٢٧.

فالشاهد اللَّوني - هنا - هو مفردة "مخضوبا"، وقد وُفِّق الشاعر توفيقًا كبيرًا في اختيارها؛ لأن الخضاب رمزٌ للجمال والسعادة والزينة، فجاء السيف ؛ وكأنه عروس تُزفُّ إلى الأمة الإسلامية، فالنصر قد خلَّص الدولة الإسلامية من إحدى الثورات، التي شكَّلت خطرًا، يهدِّد وجودها، وإن الحس الديني للشاعر ونفسيته المحبة للنصر، هي التي صاغت رمزية اللَّون.

ومع دلالات النصر يَفقد الدم دلالاته المأسوية، ويتحلَّى بدلالات الجمال والزينة ؛ حين يخضب سيف الممدوح المنتصر بدم أعدائه، فقال البحتري :

إذا انْتَضَى السَّيْفَ يَوْمَ الرَّوْعِ أَغْمَدَهُ مُخَضَّبًا مِنْ دَمِ الاعْدَاءْ فِي القَلَلِ.(٢)

فعندما يُشهر الممدوح سيفه في وجوه أعدائه ؛ لا يردُّه في غمده ؛ إلَّا وهو مخضبٌ بدمائهم.

وقد حمَّل الشاعر اللَّون الأحمر على السيف دلالات النصر، والغلبة على الأعداء.

٤) اللَّون الأَخضر:

واللَّون الأخضر من الألوان المهمَّة، التي استخدمها الشاعر في سياق المديح، وأحسن استثمار دلالتها الإيجابية، في رسم صور شعرية ؛ حشدت كثيرًا من الجوانب المشرقة في حياة الممدوح.

فقد عبَّر الشاعر باللَّون الأخضر عن سَعة الرزق، ورفاهية العيش، وطيب الحياة التي يحياها الممدوح، ويُشرك غيره معه فيها، قال:

متى أَحْلُلْ بسَاحَتِهِ أَجِدْهُ: أَنيسَ الرَّبْع، مُخْضَرَّ الجَنابِ.(٣)

فمتى ينزل الشاعر ضيفًا على الممدوح، يجده كثير الرفقة، وفير الرزق، طيب العيش، فاللَّون الأخضر "يرتبط بمعان مختلفة، فهو يرمز إلى الطبيعة الخصبة، ويُمثِّل التَجدُّد والنمو.(٤)

---

(١) المصدر السابق: ج١، ص ١٠٦، بيت ٢٠، أبو حرب، هو أبو حرب المبرقع اليمني، الذي خرج علي السلطان بفلسطين، سنة ٢٢٧. انظر: حاشية الديوان ص١٠٦.

(٢) المصدر السابق: ج٣، ص١٩٠٣، بيت ٢٣.
انتضى السيف: استله من غمده. والقلل؛ جمع القلة: قبيعة السيوف، وهى ما على طرف مقبضه من فضة أو حديد .انظر: حاشية الديوان، الصفة نفسها. ومثله في توظيف اللَّون الأحمر انظر : ج٤،ص٢٠٩٩، بيت ٣٢، المصدر السابق: ص ٢١٥٦، بيت ٢٨، وانظر: المصدر السابق : ص٢١٦٣، بيت ٢١.

(٣) البحتري : ديوانه، تحقيق، حسن كامل الصيرفي، مصدر سبق ذكره،،ج١، ص،٢٧٥ بيت ٧.

(٤) شكري عبدالوهاب : القيم الشكلية والدرامية للون والضوء، مؤسسة حورس الدولية، الإسكندرية، ٢٠٠٩، ص ١٦١.

- لفظة "متى"، دلَّت على الزمن المطلق، من دون تحديد وقت بعينه.
- كلمة "أنيس"، أوحت بمعاني الألفة والمحبة.
- حاكى السكون في لفظة "أَحْلَلْ" استقرار الشاعر على أراضي الممدوح، وتوطنه فيها.

ويُشير باللَّون الأخضر إلى فطنة الممدوح وذكائه، قال:

سَــهْلُ البَلاغَــةِ والفَــصَاحةِ، قَلْــبٌ، غَــضُّ الحِجَــى والفَــهْم، صُــلْبُ العُــودِ.(١)

فيُعدد الشاعر مناقب الممدوح، فهو بليغ فصيح اللِّسان، بصير بتدبر الأمور، فطن ذكي، قوي البنية. وقد استفاد الشاعر من حسن التقسيم، فأكسب البيت إيقاعًا موسيقيًا رائع التقسيم. وقد زواج الشاعر - في البيت - بين المناقب النفسية للممدوح ومناقبه الجسدية.

وفي عطف الجمل على بعضها - في البيت بالواو- أكَّد اتصاف الممدوح بكمال الأخلاق، حيث اتفقت الجمل في الخبرية والاسمية، والمسند فيها واحد، وهو الممدوح .

٥) اللَّون الأصفر:

اللَّون الأصفر - في سياق المديح - تنازعته الدلالتان السلبية والإيجابية، ويأتي ذلك وفقًا لمعنى البيت وسياقه.

فجاء اللَّون الأصفر دالًا إيجابيًا علي السيادة والمجد، قال:

فَــلا تَسْأَلُــوها عَــن قَــدِيم تُرَاثِــها فَــــعَسْجَدُها ممَّــــا أفَــــادَ حَدِيــــدُها.(٢)

يحذِّر الشاعر المتسائلين عن أصول سيادة الممدوح، والمتهكمين عليه، ويخبرهم أنهم بنوا مجدهم بقوة سيوفهم.

ولم يصرح الشاعر باللَّون الأصفر مباشرة، ولكنه أورده بصورة غير مباشرة، من خلال لفظ "العسجد"، التي نلمح فيها ظلال اللَّون الأصفر، مدلِّلا - بها - علي حسَب الممدوح، وعلو منزلة قومه الرفيعة، التي حقَّقها أجداده ببطولاتهم الحربية وقدراتهم القتالية، "وقد استخدم قدامى الشعراء العرب هذا

(١) البحتري: ديوانه، تحقيق: حسن كامل الصيرفي مصدر سبق ذكره، ج٢،ص٨١٩، بيت ١٧.
قلب : بصير بتقليب الأمور . انظر: حاشية الديوان ص٨١٩.
(٢) المصدر السابق: ج٢، ص ٦٥٣، بيت ٢٣.

النمط في الأغلب، فجعلوا الأبيض للجَمال، والنقاوة، والسلام، والأصفر للإرادة، والمجد"[١] .

كذلك جاء اللَّون الأصفر دالًا إيجابيًا، قال:

خُلُــقٌ يَسْتَــنِيرُ كالــذَّهَبِ الــرَّا ئــــقِ حُســــنًا إِبْرِيـــزُهُ وَخَلَاصُـــهْ.[٢]

حيث شبَّه أخلاق الممدوح بمعدن الذهب الخالص، الذي لا تشوبه شائبة نحاس، فاللَّون الأصفر" يعتبر من أكثر الألوان استضاءة ونورانية"[٣].

نكَّر الشاعر لفظة "خلق" ؛ للدلالة على عموم أخلاق الممدوح، من دون تحديد خلق بعينه.

وقد وظَّف الفعل المضارع "يستنير"، للدلالة على ديمومة هذا الخلق القيم، وثباته في جميع الأحوال.

جلب الشاعر - من خلال الصورة التشبيهية، والتي شملت البيت كله - أنقى صور الذهب، وأصفاه، في قوله: "حسنا إبريزه وخلاصه" . وفيه فوق دَلالات النقاء دلالات الرفعة، والثَّراء، والنَّفاسة.

وعطف الشاعر لفظة "خلاصه" على لفظة "إبريزه "؛ ليُدلِّل على أن أخلاق الممدوح الحسنة سجية فيه، وطبع كريم فُطر عليه.

ففي معرض استعراض البطولات الحربية للممدوح ؛ يأتي اللَّون الأصفر حاملًا معنى المرض، والإعياء، والموت، الذي يسوقه الممدوح للعدو، قال:

وأَبْطَــالِ هَــيْجٍ فــي اصْفِــرَارِ بنُودِهــا ضُروبُ المَنَايَا وابْيضَاض حِرَابِـها.[٤]

فاللَّون الأصفر - في رايات الممدوح - هو نذير هلاك وموت للأعداء، وقد قدَّم الشاعر شبَّه الجملة " في اصفرار بنودها". تأكيدًا لتلك الدلالات، فلقد جاء " استجابة لطبيعة المعنى الذي أحس به الفنان، وأراد أن يستوعبه، ليُقدِّمه بلا نقصان"[٥].

---

(١) محمد حافظ دياب: جماليات اللَّون في القصيدة العربية : مجلة فصول المجلد الخامس . العدد الثاني يناير. فبراير، مارس ١٩٨٥م . ص ٤٢.

(٢) البحتري: ديوانه، تحقيق : حسن كامل الصيرفي مصدر، سبق ذكره، ج٢،ص ١١٨٨، بيت١٣.

(٣) شكري عبد الوهاب: القيم التشكيلية والدرامية للون والضوء، مرجع سبق ذكره، ص ١٦٣.

(٤) البحتري: ديوانه، تحقيق : حسن كامل الصيرفي مصدر، سبق ذكره، ج١، ص ٢٣٤، بيت ٢٦.

(٥) منير سلطان : بديع التراكيب في شعر أي تمام " الجمل والأسلوب "، ج٢، منشأة المعارف، الإسكندرية ٢٠٠٥، ص ٦٠.

وفرسان الممدوح أبطال حروب، اعتادوا الحروب، واحترفوا فنون القتال؛ لذا وصفهم الشاعر بقوله أبطال "هيج".

وعليه يمكن القول :إن المديح من أكثر الأغراض الشعرية، التي ظهر فيها توجُّه الشاعر اللَّوني، وقد ظهر- في شعره اللَّوني- تأثره بالثقافة اللَّونيَّة العربية، وتوظيفه لمدلولاتها اللَّونيَّة، واضحًا في شعره، وما قام البحث بعرضه ليس إلَّا نماذج قليلة، فهو غيضٌ من فيض صوره اللَّونيَّة.

ثانياً: اللَّون والغـــزل

يعمد البحتري إلى توظيف اللَّون في أشعار الغزل؛ فهو يتغنَّى بجمال المرأة، ويبرز مفاتنها، عن طريق التركيز على الجانب اللَّوني في محاسنها، وملابسها، وزينتها، وحتى رائحتها، فلا يكاد يذكر شيئًا من ذلك؛ إلَّا وكان اللَّون حاضرًا فيه وبقوة.

١) اللَّون الأَبيض:

جرى البحتري - في توظيفه لَّلون الأبيض في سياق الغزل - على عادة الشعراء القدامى في تغزلهم ببياض المرأة، واتخاذه نموذجًا أعلى للجمال الأنثوي، فقد كان " سياق المرأة ألصق السياقات بالبياض؛ ذلك أن هذا اللَّون قد اكتسب – عرفيًا – كثيًرا من التعلق بأجواء الصفا والإشراق والحب، وربما كان يعمد الشاعر إلى تكثيفه، عندما يصف محبوبته، ويكون هذا التكثيف بإحاطته بعناصر الصفاء والإشراق"[١].

فالمحبوبة بيضاء البشرة، أما عودها فممشوق لين كالقضيب، وعيناها كعيني غزال أحور في اتساعهما واحورارهما، والحور: يكون في الأعين "النقيات البياض الشديدات سواد الحدق"[٢]، قال:

بَيْضَـــاءُ يُعْطِيـــكَ القضـــيبُ قَوَامَهـــا، ويُريـــــكَ عَيْنَيْهـــا الغَـــزَالُ الأَحْـــورُ.[٣]

ففي البيت السابق استثمر الشاعر أسلوبًا بلاغيًا، طرَّز به بيته، وذلك من خلال أسلوب التشبيه المقلوب، الذي يُضفي -على البيت - قيمة بلاغية؛ تبرز البيت الشعري بصورة جميلة، حيث جعل لين قامة المحبوبة - مع استقامتها - هي المثال الأعلى للجمال، وليس القضيب، كما جعل احورار مقلتيها مصدرًا للجمال وأصله، وليس احورار مقلتي الغزال. لقد قدَّم محبوبته على أنها مثالٌ أعلى للجمال، يُتَخذ من ملامحه وقسماته معايير تقدير جمال الحسناوات.

---

(١) محمد عبد المطلب: قراءة ثانية في شعراء امرئ القيس، الشركة المصرية العالمية للنشر – لونجان، ١٩٩٦،ص٣٩.

(٢) ابن منظور: لسان العرب مرجع سبق ذكره، مادة حور

(٣) البحتري: ديوانه، تحقيق : حسن كامل الصيرفي، مصدر سبق ذكره، ج٢،ص١٠٧٠، بيت٥.

وحدَّد الشاعر-من خلال لفظة "بَيْضَاءُ"- لون بشرة المحبوبة، والسمة الجمالية العامة لها.

فالفعلان المضارعان في قوله: "يُعطيك" و"يُريك ". دلَّا على أن حسن القامة ورشاقتها، واحورار مقلتيها صفات لازمة للمحبوبة، مما يدلَّ على حرصها على التمسك بجمالها، والمحافظة عليه. كما كان للإيقاع الصرفي فضيلة في ذلك، حيث دلَّ الفعلان السابقان على ثبات هذه الصفات في جسد المحبوبة.

وباستخدام الفعلين المضارعين" يعطيك، ويريك" . قدَّم الشاعر من محبوبته مثالًا أزليًا للجمال، تُطَبقُ مقاييسه في عالم الجمال في السنين القادمة.

والأسلوب الخبري - باستخدام الجملة الاسمية "بيضاء يعطيك القضيب قوامها" . أفاد يقينية هذه الصفات، وتحققها للمحبوبة.

وقد جمع الشاعر إلى اللَّونين الأبيض والأسود - في البيت - اللَّون الأخضر، من خلال لفظة : " القضِيبُ"، وهي لفظة لونيَّة غير صريحة، دلَّت على صفات أخرى، لم يذكرها الشاعر صراحة في البيت، وانما أوحى إليها من خلالها؛ كدلالات الاستقامة مع الطول، والدقة في الجسد مع الطراوة.

التكامل والاتساق بين جملة "يعطيك القضيب قوامها"، وبين جملة "ويريك عينيها الغزال الأحور" ؛ أظهر تناسب ملامح المحبوبة وملائمتها لبعضها البعض، أي: أنه أظهر تكامل ملامح المحبوبة.

وعكست الصور البلاغية - في البيت- افتنان الشاعر بجمال المحبوبة، وانبهاره بها، وأكَّده الإيقاع الصوتي، مثل تكرار حرف المد، في أغلب كلمات البيت، والتي عكست - بدورها - ذلك الانبهار.

٣) اللَّون الأسود:

وظَّف البحتري اللَّون الأسود في شعره الغزلي توظيفًا إيجابيًا جماليًا، وذلك من خلال ارتباطه الشديد والقوي ببعض مفاتن المرأة الجسدية، كالشعر، والعيون، والشفاه، والعيون، وهي مواطن يُستحسن فيها السواد ؛ وبذلك ربط الشاعر السواد "بطبائع الحسن والجمال من ناحية ؛ وطبائع المتعة الحسية من ناحية أخرى"[١].

ومن جماليات اللَّون الأسود في شعر البحتري الغزلي ؛ ربطُه بالشَعْر، حيث تغنَّى به كثيرًا في شعره، فقال : يصف سواد شعر محبوبته.

يَجُوبُ سَوَادَ اللَّيْلِ مِن عندِ مُرْهَفٍ ضَعيفِ قَوَامِ الخَصْرِ سُودٍ غَدَائِرُهْ.[٢]

(١)- محمد عبد المطلب : قراءة ثانية في شعراء امرئ القيس، مرجع سبق ذكره، ص٣٨ .
(٢) البحتري ديوانه: تحقيق :حسن كامل الصيرفي، مصدر سبق ذكره، ج٢، ص٨٧٧، بيت ٨.

حيث يصف الشاعر محبوبته بأنها ممشوقة القدِّ، رقيقة القوام، سوداء الشعر.

كما وظَّف الشاعر اللَّون الأسود؛ من خلال لفظه الصريح "سود"؛ ليعبَّر به عن أنوثة المحبوبة وجمال لون شَعْرها.

واتكأ البحتري على الفصل بين صفات ثلاث ؛ وصف بهم المحبوبة، هي" مُرْهَفٍ "، و" ضَعيفِ قَـوَامِ الخَصْرِ"، " سُودٍ غَدَائِرُهْ"؛ ليوضح ثلاث صفات جماليةً للمحبوبة، فهي رَقيقة المَشاعر، ودقيقة الخصر، وضامرة البطن، وسوداء الشعر. والفصل – هنا- له دلالاته، حيث يوضِّح تأصُّل كل صفة من هذه الصفات في ذات المحبوبة وجسَدها، بمعنى لو وصفت المحبوبة بصفة واحدة من هذه الصفات لحسن ذلك، كما يوحي بتعدد صفاتها، فمحبوبته جميلة تتنوع فيها صفات الحسن والجمال. وقد زاد من جمالها الجسدي جمالها المعنوي، في قوله: " مُرْهَفٍ".

٣) اللَّون الأحمر:

في شعر البحتري الغزلي تتباين دلالات اللَّون الأحمر بين الجمال الأخاذ، الذي يأسر الألباب، والألم، والحزن، والمشقة، والمعاناة جراء الهجر، "وقد جاء هذا التباين نتيجة لارتباطه بأشياء طبيعية، بعضها يثير البهجة والانشراح، وبعضها يثير الألم والانقباض"(١) ؛ ويتغنى البحتري بتورد الخد الدال على فتنة المرأة وجاذبيتها، فيقول :

إِنَّ سِـحْرَ العُيُـونِ ضَلَّـلَ لُـبّي وحَمَـانِي الـرُّقادَ وَرْدُ الخُـدُودِ.(٢)

يؤكِّد الشاعر فقدان صوابه، بعد رؤيته لعيون المحبوبة، كما هجر مضجعه، وجفاه النوم بعد هيامه في جمال وجنتي المحبوبة، شبيهتي الورد في لونهما الأحمر، وملمسهما الرقيق، ورائحتهما الذكية. وهو - بذلك - يعرض للمتلقي حالته في العشق.

وعبَّر ضمير المتكلم في لفظتي " لُبّي" و"حَمَانِي"، عن إحساس الشاعر المتدفِّق تجاه محبوبته، وهو شعور المتلذذ بحبها المستسلم لما تفعله به، يظهر ذلك في ضلال لُبِّه، وجفائه لمضجعه، وسهره وأرقه، من جراء حبها.

وُفِّق الشاعر في استعماله للفعل " حمى" ؛ بدلًا من الأفعال الأخرى، الدالة على المنع والجفاء، وذلك لأن الفعل "حمى " يحمل معاني الحماية والألفة،

الغدائر: جمع الغديرة وهو المضفور من شعر النساء. انظر حاشية الديوان نفس الصفحة السابقة.

ومثله في شعره: انظر: ج٤،ص٢٢٥٢، بيت ٥.

(١) أحمد مختار عمر :اللغة واللَّون، مرجع سبق ذكره، ص٢١١.

(٢) البحتري: ديوانه، تحقيق : حسن كامل الصيرفي، مصدر سبق ذكره، ج٢، ص ٧٢٨، بيت ٢.

وكأن الشاعر - بسهره، ومجافاته لمضجعه - يحمي نفسه من النوم، الذي يمنعه من التفكير في المحبوبة.

استعمل الشاعر - في البيت السابق- لفظة لونيَّة غير صريحة، هي لفظة " وَرْدُ"، التي تحمل ظلال اللَّون الأحمر، وذلك ليمنح خد محبوبته لون الورد، وملمسه الرقيق.

وبنَّى الشاعر بيته الشعري ؛ باستخدامه للأسلوب الخبري المؤكَّد بأداة التوكيد " إنَّ"، لمن يشكِّك في حاله، ولم يقنع بدلالة الأسلوب الخبري على التحقق والثُّبوت.

٤) اللَّون الأَخضر:

لم يظهر اللَّون الأخضر في سياق الغزل البحتري بشكل مباشر، إنما استخدم في غزله درجاته، ومفردات إيحائية متعلقة به، وذلك لما وجده فيها من ثراء وتنوع في إضفاء صورة جمالية للحبيبة، وقال:

كـذَبَ العـواذِلُ أَنـت أَقْتـلُ لَحْظـةً وأَغَـضُّ أَطرَافًـا، وأَعْـذَبُ ريقـا.[١]

يكذِّب الشاعر قول العوازل في المحبوبة، ويقرُّ بجمالها، فهي ترمي بسهام الحب، في قلب كل من يراها، فهي لينة الأطراف، عذبة الريق.

وقد أوحى قوله: "أغض اطرافًا " . بأنها مرهفة، ورببية بيت عِزٍّ، وتجد من يقوم على خدمتها.

وأفاد تكرار حرف العطف" الواو، تعدُّد مفاتن الحبيبة، فنظراتها قاتلة، وهي لينة الأطراف، عذبة الريق. والشاعر قد انتقى أعذب الألفاظ وأرقها؛ لتناسب رقة المحبوبة.

إن الأثر الإيقاعي، الناتج عن استقصائه لأوصاف المحبوبة، نجح في الكشف عن مشاعر البحتري، فاستتباعه لصفات الجمال في المحبوبة ؛ واحدة تلو الأخرى، إنما هو تلذذٌ بهذا الجمال. ونلمح ظلال اللَّون الأخضر في لفظة " أَغَضٌّ"، وهي من سمات الخضرة في الطبيعة.

وإذا اختلط بياض الدموع بحمرة الدم، فهو إشارة لما تفيض به نفسية الشاعر من ألم وجراح، يقول:

إذا تَوَقَّعنَـا نَوَاهـا جَـرَتْ سَـوَاكِبٌ يَحْمَـرُّ فيهـا النَّجِـيعْ.[٢]

(١) المصدر السابق، ج٣، ص ١٤٤٧، بيت٩.
(٢) البحتري: الديوان، تحقيق: حسن كامل الصيرفي، مصدر سبق ذكره، الجزء نفسه، ص ١٢٥٨، بيت٩.
النجيع: الدم الضارب إلى سواد. انظر حاشية الديوان ، الصفحة نفسها.

فتذرف عينا الشاعر دموعًا غزيرة، احمرَّت من الدم ؛ لتجرح عينيه من البكاء، إذا ما توقع البين والفراق.

وقد أوحى قوله: "توقعنا" . اشتداد حبه للمحبوبة، وتغلغله في قلبه، فهو يبكي مرارة، لمجرد توقعه الفراق. ولفظة (سواكب) مع جمعها ؛ أوحت بغزارة الدموع المنهمرة من عيني الشاعر، وجميع ما سبق يدلُّ على صدق الشاعر في عشقه. وعدم تكلفه في هذا العشق

٥) اللَّون الأصفر:

امتدح البحتري صُفرة اللَّون، في المرأة الناتجة عن كثرة التطيب بالزعفران، يقول الشاعر:

فيَا حُسْنَها إِذْ هَبَّ من سِنَةِ الكَرَى صَرِيْعٌ بصَيْكِ الزَّعْفَرَانِ رمِيلُ! [١]

يتلذذ الشاعر برؤية المحبوبة، وقت استيقاظها من النوم، وقد ترك طيب الزعفران أثره –لونه الأصفر- على جسَّدها الجميل.

فالشاعر يُشير إلي جمال الحبيبة، وقد فاقت من نومها، وعليها صفرة الطيب، فكانت صفرة اللَّون - هنا - دليل جمال ؛ لأن لونها " تضرب فيه الصفرة من طول المُكث في الكن، والتضمخ بالطيب، كما تضرب بيضة الإدحى واللؤلؤة المكنونة."[٢].

ويرى الشاعر أن المحبوبة جميلة في جميع الأوقات، حتى إذا بدت من دون تجمل أو تزين، وقت أن تُفيق من نومها. والنداء في قوله: "يا حسنها" . عكس نفسية الشاعر الفرحة برؤية المحبوبة.

ولفظة " صريع "، توحي بعمق النوم، الذي يدلُّ على نفسية صافية وسعيدة، لا يشغلها شاغل، ولا يُمرض عينيها جفاء.

وأخيرًا: قدَّم البحتري باللَّون غزلًا حسيًا، رسم - من خلاله - النواحي الجمالية في جسد المرأة. وجسَّد به مشاعره في العشق، كما بقيت دلالات الألوان في شعر البحتري الغزلي، كما عرفتها الثقافة العربية، وأقرَّها العرف، فلم تتجاوزها إلي دلالات خاصة بالشاعر.

ثالثاً: اللَّون والوصف

(١) المصدر السابق،ج٣، ص ١٨٣٠، بيت ٦
صيك: من صاك به الطيب يَصِيكُ، أي : لَصِقَ به. انظر: لسان العرب، مادة : صيك
(٢) أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلُسي: طبائع النساء وما جاء فيها من عجائب وغرائب وأخبار وأسرار، تحقيق : محمد ابراهيم سليم، مكتبة القرآن للطباعة والنشر، القاهرة، د.ت، ص١١٧.

تمتَّع البحتري بمقدرة فريدة في فن الوصف، فقد احتفى به في شعره، من حيث كونه فنًا من فنون الشعر ذا شخصية مستقلة ؛ " ولعل شاعرًا مشرقيًا لم يصل إلى مستوى البحتري، حين وصف مظاهر الحضارة ومباهجها، وكلَّ ما يتصل بها، ولو كان جزءًا من التاريخ"(١).

ولقد تميَّز شعره الوصفي بجمعه "بين القديم والجديد، حيث لا يظهر فيه تعقيد المباني وتجزئتها، وتفصيلها، وتوليدها، بل تَرد معانيه بسيطة منفردة مباشرة، كما أن تشابيهه قد توازنت، وابتعدت - بعض الأحيان - عن الاستطراد في شكله البدائي. إذ لم يظل البحتري شاعر حس يقرر الأشياء تقريرًا ؛ بل أصبح شاعر حس ونفس ؛ يمزج - غالبًا - بين الذات والموضوع، ويمنح الأشياء بُعدًا وجدانيًا(٢).

ولا ريب في أن للبيئة الشامية - التي عاش فيها البحتري بطبيعتها الساحرة، وألوانها الجذابة ؛ ولتردُّده على قصور الخلفاء والأمراء، وما تحويه هذه القصور من حدائق وبرك، وجداول خضراء يانعة، وطيور متنوعة - أثرًا في تشكيل ذائقته اللَّونيَّة، حيث أضحت " للألوان مصادرها، أمام عيني الشاعر، حيث الطبيعة بسمائها، وبحارها، وصخورها، ورمالها، ونباتها، وطيورها، ونجومها، وكواكبها ؛ شروقًا وغروبًا، ممَّا جعل للَّون منزلة خاصة في التعبير الشعري"(٣)

بالإضافة إلى عامل آخر، وهو " الاستعداد النفسي، لدى الشاعر وشخصيته المحبة للجمال، ومن المعروف أن الإحساس يتوقف على مدى الاستعداد الشخصي ؛ للتأثر بالمؤثرات المُحيطة"(٤).

(١) مصطفى الشكعة : الشعر والشعراء في العصر العباسي، دار العلم للملايين، ط٦، ١٩٨٦م، ص ٧٢٠.

(٢) أيليا الحاوي: فن الوصف وتطوره في الشاعر العربي، دار الكتاب اللبناني، دار الكتاب المصري، بيروت، القاهرة، ط٢، ١٩٨٧م، ص ١٥٧.

(٣)- يوسف حسن نوفل: الصورة الشعرية والرمز اللوني، دار المعارف، القاهرة، د.ت. ص٣١.

(٤) على إبراهيم أبو زيد: فنيات التصوير في شعر الصنوبري، دار المعارف، القاهرة، ٢٠٠٠م، ص ٦٦.

١) اللون والطبيعة .

شغفُ البحتري بالطبيعة، وحرصه الشديد على وصف مظاهرها؛ جعل للَّون حضورًا بارزًا، في كل ما رسمه للطبيعة من لوحات، فيما يدلُّ على ولعه بالألوان، وأنها تشكِّل حيِّزًا كبيرًا في مُخيلته الشعرية.

- اللَّون الأبيض :

يتوسَّل الشاعر باللَّون الأبيض في سياق الوصف، حيث يأتي اللَّون ؛ للدلالة على النقاء والصفاء، اللذين يُميزان ماء البركة التي وصفها، فقال:

كأَنَّمَا الفِضَّةُ البَيْضَاءُ سائِلَةً مِنَ السَّبَائكِ تَجْرِي في مَجَارِيهَا.(١)

يشبِّه البحتري المحسوسات بمحسوسات أخرى؛ فتدفُّق مياه البركة، وهو خارج من مصدره ؛ كتدفق الفضة السائلة، وهي " من أجود الفضة في لمعانها، وبياضها، وبريقها، وترقرقها في حال سيلانها؛ فالجمال، والزينة، والأحدث - كلُّها - أشياء تتآزر ؛ من أجل إخراج الصورة في أتم ما تكون من الكمال والجمال"(٢).

وقد أضفى الجناس الاشتقاقي، في قوله: " تجري في مجاريها" . نغمًا موسيقيًا جميلًا على البيت. ودلَّ على كثرة روافد البركة.

- جمع كلمة السبائك، يوحي بغزارة المياه، وشدة تدفقها.

- الفعل المضارع "تجري"، أفاد استمرار الحدث وتَجدُّده.

- حاكى صوت الجيم في الفعل "تجري" صوت اندفاع المياه.

- اللَّون الأسود:

شغف البحتري بالطبيعة، بكل مفرداتها، فهو يتوسَّل - باللَّون الأسود - في وصف الليل الحالك الذي غاب قمره، وقال:

والليلُ في لَوْنِ الغُرابِ كأَنَّهُ هو في حُلُوكَتِهِ وإِنْ لم يَنْعَبِ.(٣)

فسواد الليل وظلمته قد دفعا الشاعر إلى اختيار اللَّون الأسود في الغراب ؛ ليصف شدة الليل وحلوكته؛ لتناسُب الألوان وتقاربها، ووظَّف ذلك في إطار صورة فنية مباشرة، قوامها التشبيه.

---

(١) البحتري: ديوانه، تحقيق : حسن كامل الصيرفي، مصدر سبق ذكره، ج٤، ص٢٤١٨، بيت١٨.

(٢) إسماعيل محمود محمد : قصيدة البركة للبحتري "البواعث النفسية والتجليات الجمالية "، دار محسن للطباعة، سوهاج، ٢٠٠٣م، ص ٣٨.

(٣) البحتري : ديوانه، تحقيق، حسن كامل الصيرفي، مصدر سبق ذكره، ج١،ص ٨٠ ص ١٦. ومثله في وصف الليل. انظر:ج٤، ص٢١٣٨، بيت. ١٢.

وقد وُفِّق الشاعر في اختيار الغراب، من دون سائر الطيور؛ لأنه:

أولًا: من الطيور التي يكسوها السواد، فلا توجد به ريشة بيضاء.

ثانيًا: لأن الغراب يُثير- في النفس - ما يُثيره الليل من خوف، ورهبة، وتشاؤم، فالربط - باللَّون بين الاثنين - ربط في المعنى، وقد دلَّ ذلك على دقة البحتري في اختيار ألفاظه، التي تخدُم المعنى.

- اللَّون الأحمر:

ورد ذكر اللَّون الأحمر في سياق الوصف، خلال وصفه لياقوتة، استهداها من الممدوح، قال:

فَهَلْ أَنْتَ يا بْنَ الرَّاشِدين مُخَتِّمِي ... بِيَاقُوتَةٍ تَبْهَى عَلَيَّ وتُشْرِقُ؟
يَغَارُ احْمِرَارُ الوَرْدِ مِن حُسْنِ صِبْغِهَا ... وَيَحْكِيهِ جَادِيُّ الرَّحِيقِ المُعَتَّقُ
إذا بَرَزَتْ والشَّمْسَ قُلْتَ: تَجَارَتا ... إلى أمَدٍ، أو كَادَت الشَّمْسُ تَسْبِقُ
إذا التَهَبَتْ في اللَّحْظِ ضَاهَى ضِيَاؤُهَا ... جَبِينَكَ عِنْدَ الجُودِ إذْ يَتَأَلَّقُ.(١)

فقد مثَّل اللَّون الأحمر - في هذه الأبيات- ركيزة أساسية، استند عليها الشاعر في وصفه للياقوتة.

- وقد استخدم عناصر اللَّون، والحركة، والرائحة في رسم صوره الشعرية . فتمثَّلت الألوان في ألفاظه المباشرة ؛ كلفظة "احمرار"، وألفاظه اللَّونيَّة غير المباشرة في الألفاظ" الشمس، والتهبت، وضياؤها "، وتمثَّل عنصر الحركة في الأفعال" تجارتا، وتسبق "، وتمثَّل عنصر الرائحة في لفظة "الرحيق"، وتمثَّل عنصر الصوت في الفعل "قلت".
- وشخَّص الشاعر حمرة الورد، وجعلها تُغار من حسن صبغ الياقوتة؛ وذلك للمبالغة في جمالها، وحُسن لونها الأحمر .
- شخَّص الشاعر الشمس والياقوتة، وعقد منافسة بينهما في الحسن والجمال .
- ولاستمالة الممدوح شبَّه تألُّق الياقوتة وتلألؤها في العين ؛ بتألق جبين الممدوح، في موقف العطاء.
- كما ورد ذكر اللَّون الأحمر متداخلًا مع غيره من الألوان، في وصف أحد الأماكن، قال:

(١) البحتري : ديوانه، تحقيق حسن كامل الصيرفي ،ج٣، ص ١٥٣٣،، ١٥٣٤، الأبيات ٣١,٣٢,٣٣,٣٤،ومثال توظيف اللَّون الأحمر في الطبيعة، انظر: ج٤، بيت ٢١٧٦، بيت ١٧، والمصدر السابق ص٢١٩٩، بيت ١٢. والأحمر في وصف الحرب: انظر: ج٤، ص٢٢٠٤، بيت ٢٦. وللأحمر في وصف الخيل: انظر: المصدر السابق ،ص٢٢٧٥، بيت ٥.

و" الرَّقَّةُ البَيْضَاءُ " كالْخَوْدِ الَّتي تَختَالُ بَيْنَ نَوَاعِمِ أَقْرَانِ
مِن أبْيَضٍ يَقَقٍ، وأصْفَرَ فَاقِعٍ، فِي أخضَرٍ بَهِجٍ، وأحْمَرَ قَانِ
ضَحِكَ البَهَارُ بأرْضِها، وتَشَقَّقَتْ فِيهَا عُيُونُ شَقَائِقِ النُّعْمَانِ.(١)

فقد شبَّه الشاعر " الرقة البيضاء "، وكأنها فتاة جميلة حسنة، تختال - في مشيتها - بين الزهور الساحرة بألوانها الزاهية الحمراء، والصفراء، والبيضاء، والخضراء؛ فتشكل - بتخالفها -أحسن منظر تلذُّ به العيون، وتعجب به النفوس، ولا يُخفى ما في الأبيات من تشخيص، زاد من جمال الصورة، حيث جعل أزهار البهار ضاحكة بتفتحها، كما تفتحت بتلات زهور شقائق النعمان الحمراء ؛ فزادت الطبيعة جمالًا وسحرًا.

- وأردف الشاعر كل لون من الألوان المتناقضة بدرجة تشبُّعه ؛ لأن " التناقض يجعل اللَّون المشبع أكثر قوة" (٢).

- وعبَّر - بالأبيض الناصع، والأصفر الفاقع، والأحمر القاني - عن خصب أرض المدينة، وكثرة الرياض بها.

- اللَّون الأخضر:

الأخضر : هو لون ألوان الطبيعة ؛ لأنه لون أشجارها وأعشابها، وقد توسَّل به البحتري في وصف الطبيعة، فقال:

قَد طَابَ مُغتَبَقُ الزَمَانِ وَنُشِّرَت حُلَلُ الرَبِيعِ كَأَنَّهُنَّ السُندُسُ
وَتَوَقَّدَ النُوّارُ حَتّى أَنَّهُ لَيُخَالُ أَنَّ النَارَ مِنهُ تُقبَسُ.(٣)

فجاء الربيع، وكُسيت الأرض حُلة خضراء ؛ كأنها ثياب السندس، وتفتحت زهور شجر الرمان، وأينعت ثمارها. حتى يخيَّل للناظر أنها نارٌ شديدة التوقُّد.

وزواج الشاعر - في البيتين السابقين - بين اللَّون الأخضر واللَّون الأحمر في وصف الطبيعة؛ ليظهر جمالها بتمايز ألوانها.

ففي البيت الأول ؛ شبَّه خضرة الرياض - وقت الربيع - بثياب السندس خضراء اللَّون، وحذف وجه الشبَّه. ليبالغ في خضرتها، فقد كُسيت الرياض - بفضل خضرتها - بثياب السندس، فلا مجال لذكر وجه الشبَّه، بعد أن صار الاثنان واحدًا.

---

(١) المصدر السابق، ج٤، ص ٢٣٧٧، الأبيات ١٣,١٤,١٥

(٢) شكري عبد الوهاب : القيم التشكيلية والدرامية للون والضوء، مرجع سبق ذكره، ص ٢٧٧

(٣) البحتري : ديوانه: تحقيق :حسن كامل الصيرفي، مصدر سبق ذكره،ج٢، ١١٨٣، البتان ٢، ٣.
النوار : نور زهر الرمان . انظر: حاشية الديوان ١١٨٣.

وفي البيت الثاني عدَل الشاعر عن ذكر الصفة اللَّونيَّة المباشرة للون الأحمر ؛ إلى ذكر لفظة لونيَّة غير صريحة، وهي الفعل الماضي " توقَّد ؛ ليحمل اللَّون الأحمر - بفضلها - دلالات النضج والاستواء.

- اللَّون الأصفر:

وصف الشاعر سقوف أحد القصور العباسية باللَّون الأصفر الذهبي، فقال:

لَبسَتْ من الذَّهَبِ الصَّقِيل سُقُوفُهُ نــورًا يُضِــيءُ عَلَــى الظَّــلَام الحافِــلِ.[1]

يُصوِّر البحتري عَظمة القصر وفخامته، وقد بُنيت سقوفه من الذهب الأصفر الخالص، فيظهر - لعين الناظر- وكأنه نورٌ، بدَّد ظلمات الليل.

وقد وصف الشاعر الليل بلفظة "الحافل" ؛ ليَقصر مصدر إنارته على الضياء المشعِّ من الذهب، فلا قمر ينيره، ولا نجوم تضيئه، فلا يضيئه غير ضوء الذهب، وهذه مبالغة من الشاعر؛ قصد بها إظهار مقدار ثقل الذهب، الذي غطَّى السقوف، وللتَّدليل على جودة صقله.

وكثَّف الشاعر من ورود الأصوات المجهورة[2]؛ " اللام، والباء، والميم، والنون، والذال، والقاف، والياء، والواو، والراء، والضاد، والعين، والظاء" في البيت؛ ليُدلِّل على شدة الأشعة المنبعثة من حسن صقل الذهب وقوتها، وجودة صنعته ؛ والتي - بفضله - استطاعت أن تصير ضياء يبدِّد ظلمات بعضها فوق بعض.

وختم الشاعر بيته الشعري باسم الفاعل في لفظة الحافل؛ ليساعد المتلقي على تمثُّل طبيعة هذا الظلام. وصوَّر سقوف القصر بفتاة تتحلَّى بأصناف الذهب.

إن الذهب الصقيل - الذي كسا به الممدوح سقوف قصره - استحال ضياءً بدَّد الظلمات المدلهمة؛ فانقلب الليل المظلم نهارًا مشرقًا ؛ بفضل عظمة القصر وروعة عمرانه . ولا عجب في ذلك، فهو قصر أحد الخلفاء ؛ وعادة ما تكون القصور العباسية قصورًا فخمة حافلة بمختلف التحف، ولا سيما إذا كانت قصورًا لخلفاء أو لأبناء الخلفاء . الأمر الذي يعكس البعد الحضاري والعمراني في العصر العباسي .

---

(١) المصدر السابق،ج٣، ص ١٦٤٥، بيت .

(٢) وسبب صدور زمير الجهر ؛ أن الهواء المندفع من الرئة، والذي يحدث الحرف بحبسه أو تضيق سبيله في مخرجه، قد تتضايق أمامه فتحة المزمار (التي بين الوترين الصوتيين)، فلا ينفذ إلا باحتكاك شديد بالوترين الصوتيين المكونين لجانبيها، بسبب حفز الصدر له من ورائه، وضيق المنفذ بين الوترين أمامه، فلذلك الاحتكاك تتذبذب الأوتار الصوتية بشدة ؛ فيصدر ذلك الزمير، الذي هو الجهر. انظر: - محمد حسن جبل: المختصر في أصوات اللغة العربية، دراسة نظرية وتطبيقية، مكتبة الآداب، القاهرة، ط٢، ٢٠٠٨م،ص٥٦.

٣) اللَّون والخمر:

شغف البحتري بالخمر ومجالسها، فتوسَّل بالألوان في وصفها، ووصف كل ما يتعلق بها، من أوانٍ وساقٍ ونديمٍ، وديوانه حافل باللوحات الخمرية، التي تكشف عن ولعه بها.

يقول البحتري في وصف الساقي:

أَلاَ رُبَّما كأْسٍ سَقَاني سُلاَفَهَا رَهيفُ التَّثَنِّي واضحُ الثغرِ أَشْنَبُ
إذا أخَذَتْ اَطرَافُهُ من قنُوئها رأيتَ اللُّجَيْنَ بالمُدامَةِ يَذْهَبُ. (١)

فيصف البحتري ساقي الخمر، بحركاته البطيئة المتمهِّلة، وقدِّه الدقيق، وبياض ثغره، فإذا حمل الكأس ؛ ليُقدِّمها لشاربه؛ اصطبغت أطرافه وأنامله البيضاء بصفرة الذهب ؛ لانعكاس لون الخمر الأحمر القاني على أطرافه.

والتمني - في البيت الأول - كشف عن حبِّه الشديد للخمر، واشتياق الشاعر لشُربها من يد ساقٍ، جمع سمات الجمال. والاشتياق يكون نتيجة للحرمان.

وفي الشطر الثاني من البيت كنايتان متتاليتان، ففي قوله: " رَهيفُ التَّثَنِّي" . كناية عن رقة حركة الساقي ودقة تمايله في المشي، وفي قوله : " واضحُ الثغرِ أَشْنَبُ" . كناية عن جمال أسنان الساقي، فهي واضحة البياض ،نقية صافية، دقيقة رقيقة . واللجين لفظة لونيَّة غير مباشرة، كنَّى بها عن اللَّون الأبيض.

ومَزَجَ الشاعر بين اللَّون الأبيض والأحمر، وأنتج - من مزجهما - لونًا ثالثًا، لوَّن به لوحته الخمرية، وهو اللَّون الذهبي؛ زاد - من خلاله - جمال الغلام .

ومزْج بعض الألوان ببعض سمة مكررة في شعره (٢)، تدلُّ على دقَّة ملاحظته لحوامل الألوان، كما تدلُّ على نفسٍ شغوفة بالألوان وتوالدها.

وفي وصف كؤوس الخمر، قال:

---

(١) البحتري: ديوانه، تحقيق : حسن كامل الصيرفي، مصدر سبق ذكره،: ج١، ص١٣٥، بيت ٨,٧.
سلافها: سلاف الخمر سُلافتُها أول ما يُعصر منها. انظر لسان العرب ، مادة سلف.
الرهيف: الدقيق اللطيف. انظر حاشية الديوان، الصفحة نفسها. الأشنب: الذي به الشنب وهو برد الأسنان ورقتها وصفائها . انظر حاشية الديوان، ص ١٣٥. القنوء: اشتداد الحمرة. انظر حاشية الديوان ، الصفحة نفسها.
مثله في شعره: انظر :ج٤، بيت ٢٢٩٥، بيت ١٠.
(٢) من أمثلة ذلك في شِعره: انظر: الديوان : ج٤، ص٢٢٦٠،بيت ٣. وانظر: المصدر نفسه،ص٣٣٧٥، بيت ٧.

يُـــدِيُر كـــؤُوسًا مـــن عُقـــارٍ كأنّهـــا مـن النـُّور فـى أيـْدِى السُّقَـاةِ مَصـابِحُ.[1]

فقد شبَّه الشاعر الكؤوس - في صفاء زجاجها ورقته، وقد أصبحت بلون الخمر - وكأنها مصابيح نور حملتها أيدي السقاة.

وعبَّرت الجملة الفعلية "يدير كؤوسًا من عقار"، عن استحضار صورة الساقي، وهو يوزِّع الخمور على الندماء في مجلس الخمر" ؛ مما يوحي بالفاعلية والنشاط في المجلس.

٣) اللَّون والشيب:

صوَّر البحتري ما انطوت عليه نفسه، تجاه فقدان الشباب وضياعه، ذامًّا ما في المشيب من معاني، تنفر منها النفس الإنسانية، حيث "يأتي المشيب مضعِّفًا الهمة، فتذبل النضرة؛ ويجف معينها الثر، وتضعف الحواس، وتعجز عن أداء مهامها على الوجه الأكمل ؛ كما كانت أيام الشباب، فيحل الضعف محل القوة، والذبول محل النضرة، والكدر محل المرح، والإحساس بإدبار الحياة محل الإحساس بإقبالها"[2].

وقد حُمِّلَ اللَّون الأبيض - في سياق المشيب - دلالات سلبية، تختلف عن دلالاته في سياق الغزل والمديح والفخر، فهو نذير الهلاك، والموت، وانقضاء العمر، قال:

جَلـــوْتُ مِرآتـــي، فيـــالَيْتَني تركْتـــُها لـــم أَجْـــلُ عنهـــا الصَّـــدَا
كـــي لا أَرَى فيهـــا البَيَـــاضَ الـــذي فـــي الـــرأْسِ والعـــارِضِ مِنِّـــي بَـــدَا !
يـــا حَسْـــرَتا ! أيـــن الشَّـــبابُ الـــذي علـــى تـــَعَدِّيهِ المَشَـــيبُ اعْتَـــدَى !
شِـــبْتُ فـــَمَا أَنْـــفَـــكُّ مـــن حَسْـــرةٍ، والشـــَّيْبُ فـــي الـــرأسِ رســـولُ الـــرَّدى.[3]

فالأبيات تذرف مرارة وحزنًا وألمًا من قدوم الشيب، فهو - في العموم - كفيل بتحويل الحياة إلى قطعة من العذاب النفسي والجسدي، في آن واحد "[4].

وقد وظَّف الشاعر الأساليب الإنشائية ؛ " كالتمني في البيت الأول، والنداء والاستفهام في البيت الثالث ؛ بغرض إظهار التحسُّر على ما مضى من شبابه ؛ وليعكس أنينه وألمه، الذي ضاقت به نفسه .

---

(١) المصدر السابق: نفسه، ص ٤٨١، بيت ٢، انظر: المصدر نفسه، ص٢٥٦٧، بيت ٣.
(٢) عبد الرحمن محمد هيبه: الشباب والشيب في الشعر العربي حتى نهاية العصر العباسي الهيئة المصرية العامة للكتاب، الإسكندرية، ج١، د.ت، ص ١٩٩،٢٠٠.
(٣) ديوان البحتري: تحقيق : حسن كامل الصيرفي، مصدر سبق ذكره، ج١، صفحة ٦٥، الأبيات ٤,٣,٢,١.
(٤) عدنان محمود عبيدات : جماليات اللَّون في مخيلة بشار مجلة مجمع اللغة العربية، دمشق، دمشق، المجلد ٢٨٠، ج٢، ص ٣٥٩.

وشخَّص الشاعر الشيب في البيت الأخير، بجعله رسولًا، ينذره بانقضاء العمر، وقدوم الموت.

واعتمد الشاعر على ثنائية البياض والسواد في رسم صورة لحلول الشيب في رأسه، حيث يختلط شعره الأبيض بشعره الأسود الفاحم، فتبدو وكأنها ظلمات ليل، شابتها تباشير الصباح، منذرة بتلاشي السواد ؛ رمز الشباب أمام اللَّون الأبيض، رمز المشيب .

فالنـــدَا بالرَّحِيـــلِ حـــين يُنـــادَي بِحُـــلول علـــى الشَّـــبابِ مُشِـــيبُ
إنَّ لـــيْلًا تبسَّـــمَ الصُّـــبْحُ فيـــهِ عـــن زَوَالِ الظـــلَامِ عنـــهُ قريـــبُ.(١)

فقد طابق - في البيت الأول - بين لفظة " الشباب"، ولفظة "المشيب" من دون فاصل؛ ليوحي بسرعة تقدَّم عمره، فبلذات الشباب الكثيرة، وسعادته فيها ؛ مضى الشباب سريعًا من دون الشعور به.

وتعاضدت الكناية مع التشخيص في البيت الثاني، في رسم صورة لحلول الشيب في رأس الشاعر. فكنَّى بلفظة " الليل " عن سواد شعره، وشخَّص الصبح، بإسناد سمة التبسم إليه، وهي خصيصة إنسانية صرفة . أوحت الصورة الفنية – هنا- أن الشاعر ما زال في بداية الشيب، ولم يتقدَّم به العمر كثيرًا، وذلك من خلال الألفاظ " تبسم، والصبح، وقريب ".

رابعًا: اللَّون والفخر

أ- اللون الأبيض:

البحتري كثير الفخر بنفسه، فخور دومًا بشعره، وفي ديوانه ما يشهد على ذلك، ساق اللونين الأبيض والأسود ؛ للدلالة على بلاغته وفصاحته، قال:

إَلَيْـكَ سَـرَتْ غُـرُّ القَوافِـي كأَنَّهـا كَوَاكـِبُ لَيْـلٍ غـابَ عنهـا أُفُولـُهَا.(٢)

فقد وسم الشاعر قصائده بالبياض ؛ لبلاغتها، وفصاحتها، وجزالة ألفاظها، وقوة تركيبها، وبُعدها عن التعقيد والإغراق في الصنعة، فقد شبَّهها بكواكب الليل، التي لا تعرف الأفول.

تتراسل الحواس في البيت السابق، فيصف الشاعر مُدركات حاسة من الحواس بمدركات حاسة بحاسة أخرى، فالقوافي - في البيت السابق- لم يعد إدراكها مقتصرًا على حاسة السمع، بل أصبحت- في ضوء تراسل الحواس - هيئة مرئية، تدركها حاسة البصر، كما تدركها حاسة السمع.

(١) ديوان البحتري : تحقيق : حسن كامل الصيرفي، مصدر سبق ذكره، ج١، ص ٣٥٠، بيت بيت ٣, ٤

(٢) البحتري: ديوانه، تحقيق حسن كامل الصيرفي، مصدر سبق ذكره ج٣، ص ١٧٧٨، بيت٣.

مكن التراسل بين المسموع والمرئي الشاعر من أن ينقل للمتلقي إحساسه بمكانة شعره، وخلود قوافيه؛ بأكثر من حاسة في آن واحد.

قدَّم الشاعر الجار والمجرور "إليك"، على الفعل "سرت" ؛ لقَصر القوافي والقصائد على الممدوح وحده ؛ اعترافًا بحق الممدوح على الشاعر .

ودلَّ الفعل الماضي "سرت " على وفاء الشاعر للممدوح ؛ حيث نظم الشاعر - في ممدوحه -قصائد جميلة، خلت من العيوب.

ودلَّ قوله: " غر القوافي ". على المكانة المتقدَّمة، التي تشغلها قصائده بين مثيلاتها من القصائد ؛ وذلك لأن "الغُرَّة : بياض في الجبهة، وغُرَّة الشيء : أوله وأكرمه"[1].

إضافة لفظة (ليل) إلى لفظة (كواكب) ؛ ليكوِّنا – معًا- التركيب الإضافي : "كواكب ليل"؛ أوحى بتميُز هذه القصائد عن غيرها، بل وتفوُّقها عليه، قوله: "غاب عنها أفولها ". أوحى بأزلية هذه القصائد، وخلودها على مرِّ الزمن.

ب- اللون الأحمر:

وتوسَّل الشاعر باللَّون الأحمر في وصف الأسد؛ للدلالة على قوته، وشجاعته، وقدرته على الفتك بأعدائه، فقال:

فقُلْ لبَنِي الضَّحَّاكِ مَهْلاً! فإنَّني أَنا الأُفْعُوانُ الصَّلُّ والضَّيْغَمُ الوَرْدُ.[2]

يلتمس الشاعر من صاحبه أن يكون رسوله إلى أعدائه؛ يحذِّرهم من عاقبة عداوتهم للشاعر، ويدعوهم للتمهُّل والتريُّث؛ ليعطوا أنفسهم وقتًا، يفكرون - خلاله - في عاقبة عداوتهم معه، وبنبرة يعلوها الفخر بالنفس والثقة بالذات، يريد منه أن يبلِّغهم تهديده لهم، فهو كالأفعى في قوتها، وكالأسد في فتكه بأعدائه.

وبدأ البحتري بيته بأسلوب الأمر، يلتمس فيه - من صاحبه - تحذير "بني الضَّحاك"، فهو يريد حقن الدماء؛ لذا يُنذر أعداءه – أولًا- الأمر الذي يكشف عن جانب تفضيل المسالمة، والودِّ في شخصية البحتري، والحرص على مجانبة الحرب.

---

(١) ابن منظور : لسان العرب، مرجع سبق ذكره، مادة غرر.

(٢) البحتري : ديوانه، تحقيق، حسن كامل الصيرفي، مصدر سبق ذكره،ج٢، ص ٧٤١، بيت بيت ٨ .

بنو الضحاك: هم قوم الحسن بن رجاء بن الضحاك، من جلَّة الكتَّاب، ونشأ في خلافة المأمون، وأبوه رجاء بن أبي الضحاك من بلدة جرجرايا، وهي مدينة النهروان الأسفل، بين واسط وبغداد، من الجانب الشرقي وكانت ديار أشراف الفرس. انظر: حاشية الديوان: ج٤، ص ٢٣٤٦.

ويعتمد البحتري - في البيت السابق - على ضمير المتكلم المتصل، في قوله: "فإنني". والمنفصل في قوله: "أنا". ليُبدي افتخاره بنفسه، وليُضخم من ذاته.

وفي قوله: "أنا الأفعوان الصلُّ والضيغم الورد" . كناية عن وحشيته في القتال، حتى يُرهب عدوه، ويكفَّ عن معاداته.

وقد وُفِّق الشاعر توفيقًا حسنًا، في تحديد نوع الحيَّات، التي وصف نفسه بها، في قوله:" الافعوان الصلّ" . لأن الصلَّ من الحيات، هي" التي تقتلُ ؛ إذا نَهَشت من ساعتها". (١)

وصف الشاعر الأسد، بقوله : "ورد" . وهو " لون أحمر يضرب إلى صفرة "(٢)؛ وربما قصد بقوله: "الورد". حمرة دم الفريسة، التي تَلَطَّخَ بها جسد الأسد؛ لذا " فقد أصبح الأسد - بفضل هذا - اللَّون نموذجًا عربيًا للقوة، والصحة، والشجاعة "(٣).

وقد حاكت الضمَّات المتوالية - في الشطر الثاني - ضخامة الأفعوان والأسد، وعِظم حجمهما، الأمر الذي من شأنه أن يزرع الخوف والرعب في نفوس أعدائه.

أهم النتائج والتوصيات:

ومن أهم نتائج البحث ما يلي:

١. لقد أجاد الشاعر البحتري في استعماله للون في شعره ، حيث توسل به في بعض موضوعاته فجسد قيمًا وشيمًا مادية وعرفية ومعنوية كما جاء في موضوعات المدح والفخر الغزل .
٢. أجاد الشاعر في استخدامه للون كأداة من أدوات التقرب من الممدوح ؛ فساعده ذلك على التكسب بشعره.
٣. برع البحتري في تحديد دلالة اللون وفقًا للسياق لشعري؛ ومن ثم حقق قيمًا عالية الدقة من خلال مزجه للألوان في سياق حديثه عن الخمر والفخر والمديح والوصف.

وتوصي الدراسة بإلقاء المزيد من الضوء على شعر البحتري اللوني والكشف عن ما به من ظواهر بلاغية وقضايا نقدية تسهم في الكشف عن عبقرية البحتري وقدرته الشعرية في توظيف اللون.

(١) ابن منظور : لسان العرب، مرجع سبق ذكره، مادة صلل
(٢) إبراهيم عبد الحميد : قاموس الألوان عند العرب، مرجع سبق ذكره، مادة ورد.
(٣)إبراهيم محمد علي : اللون في الشعر العربي قبل الإسلام "قراءة ميثولوجية"، جروس برس، طرابلس، ط١، ٢٠٠١م.، ص ٦٧.

المصادر والمراجع :

- القرآن الكريم

المصادر القديمة:

- أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلَّسي: طبائع النساء وما جاء فيها من عجائب وغرائب وأخبار وأسرار، تحقيق : محمد ابراهيم سليم، مكتبة القرآن للطباعة والنشر، القاهرة، .د.ت.
- البحتري: ديوان البحتري، تحقيق حسن كامل الصيرفي، دار المعارف المجلد الأول، دار المعارف، ط٣، ١٩٧٧.
- التهانوي : محمد على: كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، ،تقديم : رقيق الحجم، تحقيق : على دحروج، مكتبة لسان، ط ١، ١٤١٧، ١٩٩٦م.
- الخطيب القزويني : الإيضاح في علوم البلاغة، تحقيق : عبدالقادر الفاضلي، المكتبة العصرية، بيروت، ٢٠٠٧م،
- ابن زكريا أبو الحسين أحمد بن فارس: معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبدالسلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، الرياض، ١٩٧٩، الجزء الخامس .
- ابن منظور: لسان العرب، طبعة دار الحديث، القاهرة، ٢٠٠٣م.

المراجع الحديثة:

١- إبراهيم محمد علي : اللون في الشعر العربي قبل الإسلام "قراءة ميثولوجية"، جروس برس، طرابلس، ط١، ٢٠٠١م.
٢- إسماعيل محمود محمد : قصيدة البركة للبحتري "البواعث النفسية والتجليات الجمالية "، دار محسن للطباعة، سوهاج، ٢٠٠٣م.
٣- أحمد مختار عمر: اللغة واللون، عالم الكتب، القاهرة، ط٣، ٢٠٠٩.
٤- أيليا الحاوي: فن الوصف وتطوره في الشاعر العربي، دار الكتاب اللبناني، دار الكتاب المصري، بيروت، القاهرة، ط٢، ١٩٨٧م.
٥- شكري عبدالوهاب : القيم الشكلية والدرامية للون والضوء، مؤسسة حورس الدولية، الإسكندرية، ٢٠٠٩.
٦- عباس محمود العقاد: مراجعات في الآداب والفنون، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، ط١، ٢٠١٣.
٧- عبد الحميد إبراهيم: قاموس الألوان عند العرب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٩م.
٨- عبد الرحمن محمد هيبه: الشباب والشيب في الشعر العربي حتى نهاية العصر العباسي الهيئة المصرية العامة للكتاب، الإسكندرية، ج١، د.ت.
٩- عدنان محمود عبيدات : جماليات اللَّون في مخيلة بشار مجلة مجمع اللغة العربية، دمشق، المجلد ٢٨٠، ج٢، ص ٣٥٩.
١٠- على إبراهيم أبو زيد: فنيات التصوير في شعر الصنوبري، دار المعارف، القاهرة، ٢٠٠٠م.
١١- محمد حسن جبل: المختصر في أصوات اللغة العربية، دراسة نظرية وتطبيقية، مكتبة الآداب، القاهرة، ط٢، ٢٠٠٨م.
١٢- محمد عبد العزيز موافي: حركة التجديد في الشعر العباسي، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة ٢٠٠٧م.

١٣- محمد عبد المطلب: قراءة ثانية في شعراء امرئ القيس، الشركة المصرية العالمية للنشر – لونجان، ١٩٩٦.
١٤- مصطفى الشكعة : الشعر والشعراء في العصر العباسي، دار العلم للملايين، ط٦، ١٩٨٦م.
١٥- يحيى حمودة : نظرية اللون، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨١.
١٦- يوسف حسن نوفل: الصورة الشعرية والرمز اللوني، دار المعارف، القاهرة، د.ت.

الدوريات:

١- إبراهيم الحاوي: التشكيل اللَّوني في شعر أبي تمام، مجلة كلية التربية، جامعة أسيوط، العدد،١٢مجلد الثاني، أبريل، ١٩٩٦م.
٢- محمد حافظ دياب: جماليات اللَّون في القصيدة العربية : مجلة فصول المجلد الخامس . العدد الثاني يناير. فبراير، مارس ١٩٨٥م .
٣- موسي ربا يعه : اللَّون في شعر زهير بن أبي سلمي، مجلة جرش للبحوث والدراسات، العدد الثاني، حزيران المجلد الثاني، ١٩٩٨م.